"سعيد مرّة أخرى"

وليد سليمان

سعيد الأول :

يا سعيد . . الفرح لحظة والموت لحظة ، وهما متساويان لديك . . يا سعيد ! لقد قلت كلمتك أخيراً . . بعد أن حاولت وحاولت ، وربما نجحت . لقد قلتها بعد أن حاولت أن تكونها ، لم تحتمل ، لم تحتمل ، لقد نطقتها أخيراً بوجه ابن الخطاب وبوجه نفسك وبوجه الصحراء والظلام والفقر والجبال السوداء:« لستُ نبياً » . يا سعيد ! كم كانت آلامك كثيرة وكم كنت سعيداً بآلامك وأفراحك السابقة واللاحقة ، يا سعيد . . من يصدق وها أنت تعود مرة أخرى بعد رحلتك المضنية ، أي رحلة هذه وأي شقاء هذا وأنت قانع بهذه الآلام وأنت جداً بها فرح . . . يا سعيد أنت حاكم هذه الولاية وأفقر فقرائها . . أي رحلة هذه من بلاد الشام إلى قلب الصحراء تأتي راكباً قدميك يا سعيد ، لماذا لم تسأل أهل ولايتك راحلة تركب عليها ؟! ولماذا لم يسألوك ؟! قلت : لا أنا سألتهم عن ذلك ولا هم سألوني وها أنا قد جئت . قلت يا ابن الخطاب : لا طعام ولا ثياب في الدار منذ أيام ، تطلّع ابن الخطاب في وجهك القاسي من التعب وأمر لك بما يكفيك ، وسافرت مرة أخرى ولكن على راحلة هذه المرة يا سعيد ، وتساوى لديك الفرح واللافرح .

بعد زمن ، أرسل وراءك ابن الخطاب أحد رجاله ومعه مئة درهم ومكث لديك ثلاثة أيام ، أفقرك وأجاعك حتى الموت ، قلت له في اليوم الثالث : أيها الضيف ! لقد أجعتنا ، ففي اليوم الأول أطعمناك وأكلنا مرة واحدة ، وفي اليوم الثاني أطعمناك ولم يبق شيء نأكله ، وفي اليوم الثالث لم نجد شيئاً نطعمك ولا نحن نطعم أنفسنا ، فمعذرة وألف معذرة . . . ولم تكن الدموع تحول في عينيه ولا كان صوته منكسراً .

قال الرجل : (صدق الحال وها هي مئة درهم لك بأمر الخطاب والسلام) .

نبتت زهور برية ملونة في عيني زوجة سعيد وقالت : ها قد جاء الفرح والفرج ، وماذا تريد يا سعيد أن تفعل ؟ قال سعيد مقاطعاً : أريدها في تجارة تربح ربحاً وفيراً . . وضع سعيد أكثر الدراهم في صرر قماشية صغيرة وأرسلها إلى بعض فقراء الولاية . . . (وعدت كما كنت يا سعيد) .

وبعد زمن قفلت راجعاً يا سعيد إلى الصحراء وقلت لابن الخطاب : لا أريد الولاية . . ولا أريد الحكم . . ولا أريد أي شيء . . أريد أن أكون إنساناً . . . لست نبياً والسلام والسلام .

سعيد الثاني :

وكان سعيد الثاني يقرأ كل ما ورد ذكره سابقاً في كتاب أوراقه صفراء ، ففرح ثم تحسر وقال : لا بدّ هذا (السعيد) هو الذي يجب أن أكونه ، الفرق بيني وبينه هو حاكم ولاية ، أما أنا فرئيس قسم لاحدى الدوائر في هذه المدينة ، وساواهما سعيد الثاني في رأسه وقنع بذلك ، وقال : لنبدأ فبدأ .

اقترب سعيد من موظفيه وجال في رؤوسهم يسألهم عن أحوالهم ومشاكلهم وأزماتهم فتذمر أكثرهم فوعدهم أن يعمل على تحسين أحوالهم .

حاول سعيد مع المدير العام للدائرة عدة مرات ففشلت المحاولات ، فقال سعيد لنفسه (وماذا سوف تفعل يا سعيد)؟!.

ذهب سعيد وسحب أمواله التي كان يتفاخر بها من البنك ووزعها على موظفيه في الدائرة ففرح الجميع حتى غاب القمر ، فلما غاب القمر حل الظلام والفقر معاً . وبعد غياب القمر أكّد عدد كبير من الموظفين أن القمر (الفرح) غائب فعلاً فأكد سعيد انه (سعيد الثاني الأول) فباع سيارته ووزع ثمنها على موظفيه ففرحوا حتى غاب القمر مرة أخرى . وبعد غياب ثالث للقمر فكر سعيد وقرر بيع بيته ، ووزع سعيد ثمن البيت على موظفيه . وبعد غياب رابع عاد للموظفين شيطان الفقر الذي يصاحبهم رغماً عنهم .

تيبست زهور زاهية كانت منتشرة على جنبات وجه شفيقة زوجة سعيد الثاني وقالت له : ما لهذا القمر في هذه الأيام قلّما ينير فوقنا وحولنا؟هل أنت مجنون يا سعيد ؟ أين أموالك ؟!.

كان سعيد فرحاً جداً بهذا الكلام . . . مجنون مجنون (قال في رأسه) المهم أنا هو سعيد الذي كان . وبعد أن استدان سعيد من معارفه ليعطي موظفيه لم يجد حلاً لهذا القمر الغائب ولهذا الفقر الحاضر ، دائماً يهرب القمر مسرعاً قبل أن يصبح بدراً .

« كلنا في الهوا سوا » قالها أحد موظفي الدائرة عندما تذمّر سعيد الثاني أمام الموظفين عن القمر الغائب .

كان الهدوء يخرج من قلب سعيد زويداً زويداً ، بينما كان الغضب يحتل زوايا عقله بسرعة ، عندها قرّر سعيد الثاني أن يعمل شيئاً ما غير عادي ليصبح سعيد الثالث .

عمان